

**Humanities and Educational
Sciences Journal**

ISSN: 2617-5908 (print)



**مجلة العلوم التربوية
والدراسات الإنسانية**

ISSN: 2709-0302 (online)

جوانب من الحياة الاقتصادية في مكة قبل الإسلام(*)

الباحث/ عبدالرحمن بن سلمان الصاعدي
طالب دكتوراه الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

د/ الوليد نور الهدى كنة
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
قسم الاقتصاد الإسلامي، كلية الشريعة

تاريخ قبوله للنشر 13/5/2025

<http://hesj.org/ojs/index.php/hesj/index>

(*) تاريخ تسليم البحث 2/4/2025

(*) موقع المجلة:

جوانب من الحياة الاقتصادية في مكة قبل الإسلام

الباحث/ عبدالرحمن بن سلمان الصاعدي

طالب دكتوراه الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

د/ الوليد نور الهدى كنة

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

قسم الاقتصاد الإسلامي، كلية الشريعة

الملخص

يسعى هذا البحث لتسليط الضوء على بعض الجوانب الاقتصادية لمكة المكرمة قبل الإسلام، من خلال ما اشتهرت به من الموقع الجغرافي وأثر الموقع على خطوط القوافل التجارية التي تمر بها، ويرصد البحث في شقه الثاني جانب من الصناعات والحرف التي قامت بمكة مثل الزراعة والتجارة، النجارة، الجزارة والدباغة، والخياطة، والحداثة، والبناء، والصياغة، والتعدين، استخدم البحث المصادر التاريخية لاستخلاص المعلومات حول كيفية حصول أهل مكة على رزقهم من خلال الحرف والتجارة في الأسواق.

تمثلت أبرز نتائج البحث في أن الموقع الجغرافي لمكة المكرمة كان له دور كبير في السيطرة خطوط تجارة القوافل التي تمر بها قديماً، وخصوصاً بين اليمن جنوباً والشام شمالاً، كما أوضح البحث أهمية التجارة كركن اقتصادي ومورد أساسي في مكة، وشجع نجاح التجارة وتنوعها على قيام حركة التبادل التجاري، مما سمح بتدفق السلع مثل التوابل والجلود والمنسوجات في مكة، كما أن مكة كانت لها نشاطات تجارية وصناعية محدودة وترتبط بالتجارة إلى حد كبير.

كما أوصى البحث بالتعمق في دراسة النواحي الاقتصادية لمكة في مرحلة ما بعد ظهور الإسلام وفي العصور اللاحقة والاستفادة منه في الوقت الحاضر، كما أوصت بتصميم مسارات سياحية تبرز المواقع الاقتصادية القديمة في مكة مثل الأسواق ومسرات القوافل التجارية القديمة، والعمل على إحياء الحرف التقليدية كجزء من التراث الخاص بمكة.

الكلمات المفتاحية: الحالة الاقتصادية، مكة المكرمة، الصناعات، الحرف.

Aspects of Economic Life in Mecca Before Islam

Abdulrahman Salman Al-Saedi

Faculty of Sharia Department of Islamic Economics
Islamic University of Madinah
Kingdom of Saudi Arabia

Dr. Elwalied Nour Alhuda Kanna

Islamic University of Madinah

Abstract

This study seeks to shed light on some of the economic aspects of pre-Islamic Mecca, based on its famous geographical location and its impact on the trade caravan routes that passed through it. The second part of the study examines the industries and crafts that existed in Mecca, such as agriculture, trade, carpentry, butchering, tanning, tailoring, blacksmithing, building, goldsmithing, and digging a gold mine. The study used historical sources to extract information about how the people of Mecca earned their livelihood through crafts and trade in the markets.

The study found that Mecca's geographical location played a significant role in controlling the ancient caravan trade routes that passed through it, especially between Yemen in the south and the Levant in the north. The study also highlighted the importance of trade as an economic pillar and a primary activity in Mecca. Increases in agricultural crop production played a key role in promoting commerce and trade, allowing for the flow of goods such as spices, leather, and textiles into Mecca. Crafts and industrial activities in Mecca were largely linked to commerce and trade. The study recommended a more in-depth study of Islamic history from an economic perspective, drawing lessons for the present. It also recommended designing tourist itineraries that highlight Mecca's ancient economic sites, such as markets and ancient trade caravan routes. The study also recommended reviving traditional crafts as part of Mecca's heritage .

Keywords: Economic conditions, Mecca, industries, crafts.

مقدمة البحث:

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، ﷺ وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا، أما بعد:

تعتبر مكة المكرمة، بحكم موقعها الاستراتيجي في شبه الجزيرة العربية، واحدة من أبرز المراكز الحضارية والدينية والتجارية في فترة ما قبل الإسلام، حيث تقع عند تقاطع طرق القوافل التجارية الرابطة بين جنوب شبه الجزيرة العربية وشمالها، وبين حضارات الشرق والغرب، ومن هنا تبرز أهمية دراسة الحالة الاقتصادية لمكة قبل الإسلام كمدخل لفهم التحولات الاجتماعية والسياسية التي شهدتها الجزيرة العرب، والتي مهدت لظهور الإسلام، حيث اعتمد اقتصاد مكة قبل الإسلام على ركائز متعددة، تأتي في مقدمتها التجارة التي كانت العمود الفقري لنشاطها الاقتصادي، فضلًا عن بعض الصناعات والحرف اليدوية، إضافة إلى سيطرتها على طرق القوافل التجارية، كل هذه العوامل تجعل من دراسة الاقتصاد المكي قبل الإسلام موضوعًا يستحق البحث.

ولذلك يسعى هذا البحث إلى تحليل مكونات الاقتصاد المكي قبل الإسلام، واستكشاف آلياته، ساعيًا إلى تقديم رؤية شاملة عن الجوانب الاقتصادية لمكة المكرمة قبل الإسلام ودور الموقع الجغرافي لمكة والتنوع السكاني فيها وتأثير ذلك على مختلف الأنشطة الاقتصادية التي ظهرت في مكة في مرحلة ما قبل الإسلام وتأثيراتها على الحياة الاقتصادية بعد الإسلام، مستندًا في تقديم تلك الرؤية على العديد من المصادر التاريخية القديمة والدراسات الأكاديمية الحديثة، مستعملًا المنهج العلمي وأدواته في التنقيب والبحث عن الجذور التاريخية للنظام الاقتصادي الإسلامي في بحثنا الموسوم بـ "جوانب من الحياة الاقتصادية في مكة المكرمة قبل الإسلام".

أهمية البحث:

تبرز أهمية البحث من خلال الآتي:

الأهمية النظرية:

- ترتبط أهمية هذا البحث بأهمية الفترة التي يتعلق بها موضوعه، حيث كانت الحياة الاقتصادية بمكة المكرمة قبل الإسلام، الحاضنة الأساسية للتغيير الذي جاء به الإسلام، وبداية تكوين النظام الاقتصادي الإسلامي بتشريعاته وتطبيقاته المؤيدة بالقرآن الكريم، من حيث ضبط وتوجيه السلوك الاقتصادي الفردي والجماعي ترسيخًا للقيم والقواعد الحاكمة للممارسات في الأنشطة الاقتصادية وما يرتبط بها من سلوكيات.
- الحاجة إلى دراسة الجانب الاقتصادي لمكة المكرمة بشكل أكثر عمقًا واتساعًا، كونها ارتبطت أساسًا بعملية البناء الفعلي والعملية لأركان وأسس الاقتصاد الإسلامي ونظامه وتطبيقاته الأصلية.
- قد يسهم البحث في إثراء المكتبة العلمية الخاصة بالدراسات المتعلقة بالسيرة النبوية، ويفيد منه الباحثون والدارسون والمهتمون بهذا المجال.

الأهمية التطبيقية:

تتمثل في إمكانية الاستفادة مما ستكشف عنه الدراسة من أبعاد وآثار اقتصادية، ترتبط بالوقائع التاريخية لمكة المكرمة، مما يعد إضافة بسيطة ومفيدة للمجال الأكاديمي.

مشكلة البحث:

يلاحظ على الكثير من الدراسات المتعلقة بمكة المكرمة قبل الإسلام، رغم كثرتها وتنوعها، قلة الدراسات المتعلقة بالجانب الاقتصادي فيها، لذا فإن هذا البحث يعمل على الكشف بشكل أعمق عن تضاف الملامح الاقتصادية التي ميزت مكة المكرمة قبل الإسلام؟ وماهي الأنشطة الاقتصادية التي كانت بها؟ ويمكن بلورة مشكلة البحث في السؤال الرئيسي الآتي:

ما أهم جوانب الحياة الاقتصادية في مكة المكرمة قبل الإسلام؟

وللإجابة على هذا السؤال الرئيسي، يلزم الإجابة على الأسئلة الفرعية التالية:

- ١ - ما هي الأوضاع الاقتصادية التي كانت سائدة في مكة المكرمة قبل الإسلام؟
- ٢ - ما أثر الموقع الجغرافي على الحياة الاقتصادية لمكة المكرمة قبل الإسلام؟
- ٣ - وما هو المكون السكاني لمكة المكرمة؟
- ٤ - ماهي الحرف والأنشطة الاقتصادية التي اشتهرت بها مكة المكرمة قبل الإسلام؟

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى تحقيق مجموعة من الأهداف الرئيسة التي تسهم في إبراز بعض الجوانب من الحياة الاقتصادية في مكة قبل الإسلام، وذلك من خلال:

- ١ - التعرف على الأحوال الاقتصادية لسكان في مكة قبل الإسلام.
- ٢ - بيان الموارد الاقتصادية التي تتمتع بها مكة.
- ٣ - التعرف على الأنشطة الاقتصادية في مكة.
- ٤ - بيان الحرف والصناعات التي كانت موجودة بمكة قبل الإسلام.

الدراسات السابقة:

اطَّلَعَ الباحثان على عددٍ من الدراسات السابقة ذات الصلة بموضوع هذا البحث، وهي مُرتبةٌ حسب التاريخ على النحو التالي:

دراسة: بعنوان لحة عن الاحوال الاقتصادية عند العرب قبل الإسلام للدكتور ظاهر ذباح الشمري، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية: السنة التاسعة، العدد الرابع (ج/٢)، جامعة بابل - العراق، مركز بابل للدراسات الحضارية وتاريخية، لعام (٢٠١٩م).

هدفت الدراسة إلى التعرف على أحوال العرب قبل الإسلام، فيما يتعلق بالجوانب الاقتصادية لإحداث التاريخ ومدى تأثير العامل الاقتصادي في تلك الأحداث وعلاقة ذلك بالواقع السياسي والفكري والاجتماعي،

وقسم الموضوع إلى مبحثين يتناول المبحث الأول الزراعة وأهمية العمل الزراعي واختيار الأراضي الصالحة للزراعة ونوعية المحاصيل المزروعة ضمن نطاق شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام أما المبحث الثاني فقد جاء فيه الأحوال التجارية والصناعية، عند العرب قبل الإسلام وتأثيرهما في الحياة الاقتصادية، أعتمد الدراسة على عدد من المصادر والمراجع ومنها ابن هشام (ت: ٢١٨هـ) في السيرة النبوية، وأبن سعد (ت: ٢٣٠هـ) في كتابه الطبقات، وابن حبيب (ت/ ٢٤٥هـ) في كتابه المحبر، والبلاذري (ت: ٢٧٩هـ) في فتوح البلدان والطبري، (ت: ٣١٠هـ) تاريخ الرسل والملوك، ومن كتاب المسعودي (ت: ٣٤٦هـ) مروج الذهب ومعادن الجوهر، وابن بصال (ت: ٤٩٩هـ) في كتابه الفلاحة، وابن العوام (ت: ٥٤٠هـ) في كتابه الفلاحة، والنابلسي (ت: ١٠٥٠هـ) في كتابه علم الملاحاة في علم الفلاحة.

وتختلف هذه الدراسة عن دراستنا الحالية: أن الدراسة السابقة هدفت إلى التعرف على أحوال العرب ومعيشتهم وعلاقتهم بالجزيرة العربية، مع إبراز أهم الأعمال التي قاموا بها، حيث تناولت الظروف الاجتماعية والاقتصادية التي كانت عليها العرب بشكل عام.

ولم تتعرض الدراسة السابقة: للحياة الاقتصادية في مكة المكرمة بشكل دقيق، ولم تتطرق للنشاط الاقتصادي في مكة المكرمة بشيء من التفصيل بما قبل الإسلام.

دراسة: النشاط التجاري في مكة المكرمة قبل الإسلام: للدكتور: خالد عبدالكريم عبدالرزاق، الجامعة العراقية، كلية الآداب، مجلة مداد الآداب، العدد (١٥)، لعام ٢٠١٦م.

عنيت هذه الدراسة بمناقشة النشاط الاقتصادي في مكة المكرمة قبل الإسلام، وتناولت النشاط التجاري، كما بينت الدراسة أهم الأسواق التجارية التي كانت قائمة آنذاك وكيفية الحركة التجارية فيها، والتعرف على أساليب العمل التجاري والأوزان المستخدمة في البيع والشراء، وأهم الطرق التجارية بشقيها البرية والبحرية التي سلكها التجار من مكة المكرمة والقوافل التجارية.

وتختلف هذه الدراسة عن دراستنا الحالية: أن الدراسة السابقة اقتصرت على النشاط التجاري في مكة المكرمة قبل الإسلام، حيث تناولت النشاط التجاري للسكان، كما بينت الدراسة السابقة أن مكة المكرمة كانت النشاط التجاري الرئيسي للسكان مكة والمهيمن على جميع الأنشطة الاقتصادية فيها.

ولم تتعرض الدراسة السابقة: للنشاط الاقتصادي بشكل دقيق، وكتفت بالنشاط التجاري فقط، ولم تتطرق للنشاط الصناعي أو الحرفي في مكة المكرمة بشكل موسع.

دراسة: المنظور الاجتماعي والاقتصادي للحرف والصناعات بمكة قبيل البعثة من خلال كتاب الفاكهي، للدكتور: عبد المعطي بن محمد عبد المعطي سمسم، جامعة أم القرى، قسم التاريخ، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، العدد (٢٦)، لعام (٢٠١٦).

عنيت هذه الدراسة بالتركيز على دور الحرف والصناعات بمكة المكرمة، وأثرها والقائمين عليها على الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المجتمع المكي قبيل بعثة المصطفى (صلى الله عليه وسلم)، وذلك من خلال أحد أهم

مصادر تاريخ مكة المكرمة، وهو كتاب (أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه) للمؤرخ المكي أبي عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس الفاكهي، وهي دراسة دقيقة للحرف والصناعات التي ذكرها الفاكهي في كتابه، والتي عرفت في المجتمع المكي قبيل بعثة المصطفى ﷺ، وامتداد تلك الحرف والصناعات إلى صدر الإسلام، والتعرف على تلك الحرف والصناعات وانتشارها في ربوع مكة، ودور أهل المجتمع المكي وما بذلوه في سبيل الارتقاء بحرفهم وصناعاتهم.

وتختلف هذه الدراسة عن دراستنا الحالية: اقتصر على النشاط الحرفي والصناعي في مكة المكرمة قبل الإسلام، من خلال ما كتبه المؤرخ المكي أبي عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس الفاكهي. ولم تتعرض الدراسة السابقة: للنشاط الاقتصادي بشكل شامل، ولم تعرض النشاط التجاري في مكة المكرمة بشكل أكثر عمقاً، واقتصرت على ما كتبه الفاكهي.

بوجه عام، يمكن تحديد جوانب اختلاف الدراسة الحالية عن الدراسات السابقة فيما يلي:

- ١- تعمل هذه الدراسة على تسليط الضوء بصورة أكبر على النشاط الاقتصادي لمكة قبل الإسلام.
- ٢- تتطرق هذه الدراسة للعامل الجغرافي لمكة، وكذلك المكونات السكانية بعكس الدراسات السابقة.
- ٣- التركيز على النشاط الاقتصادي، الموارد الاقتصادية، تسليط الضوء على الحرف والصناعات التي كانت في مكة قبل الإسلام.

منهج البحث:

أتبع الباحثان - بتوفيق الله تعالى - في بحثهما:

أولاً: المنهج التاريخي:

اتباع الباحثان - بتوفيق الله تعالى - في بحثهما المنهج التاريخي، حيث يعتمد على جمع الحقائق التاريخية من خلال مصادر متعددة كالكتب، والوثائق، والآثار الحضارية المتنوعة التي يقومون بدراستها، وتحليلها على أسس منهجية، وإخضاعها إلى معايير دقيقة للنقد والتحقق من صحتها، وترتيبها على أسس منطقية؛ ليتوصلا إلى الحقائق العلمية، وحيث قام الباحثان باستخدام هذا المنهج من خلال البحث في الكتب التاريخية والدراسات الأكاديمية الحديثة وما يتعلق بها، لكتابته بحث عن الحياة الاقتصادية في مكة المكرمة قبل الإسلام.

ثانياً: المنهج التحليلي:

وهو منهج يعتمد على قراءة تحليلية دقيقة لمحتوى النصوص؛ لاستخراج النتائج، دون الحاجة إلى الاستعانة بمصادر معلومات أخرى، وحيث قام الباحثان باستخدام هذا المنهج في تحليل أكبر قدر ممكن من النصوص التاريخية التي تتحدث عن الحياة الاقتصادية في مكة المكرمة قبل الإسلام، وذلك من خلال المصادر الأولية والثانوية وغيرها من الكتب التي تناولتها، ويتم ذلك بتقصي ما كتب حول هذا الموضوع وتحليله بعد دراسته وفهم محتواه والتأكد من صحته، ومن ثم استخلاص الأفكار والمفاهيم الاقتصادية المستنتجة منها.

خطة البحث:

قد اقتضت طبيعة البحث في هذا الموضوع، تقسيمه إلى مبحثين مع مقدمة وخاتمة
المقدمة وفيها: الافتتاحية، وبيان أهمية الموضوع، وأسباب اختيار الموضوع، ومشكلة البحث، وأهداف البحث،
والدراسات السابقة، والمنهج المتبع فيه وخطة البحث
المبحث الأول: الإطار النظري والمفاهيمي للبحث، وفيه مطلبان:
المطلب الأول: الموقع الجغرافي لمكة المكرمة وسكانها.
المطلب الثاني: التجارة في مكة المكرمة.
المبحث الثاني: الصناعات والحرف بمكة المكرمة قبل الإسلام، وفيه مطلبان:
المطلب الأول: مدلول لفظتي الصناعة والحرفة
المطلب الثاني: النشاط الصناعي والحرفي في مكة المكرمة قبل الإسلام.
الخاتمة: وتحتوي أهم النتائج والتوصيات، والمصادر والمراجع.

المبحث الأول: الإطار النظري والمفاهيمي للبحث

المطلب الأول: الموقع الجغرافي لمكة المكرمة وسكانها

لا بد من تسليط الضوء على أهم الجوانب التي تكشف عن حال وواقع مكة، وبيان موقعها وسكانها وخصائصها المميزة، التي كان لها تأثير على الجانب الاقتصادي، حيث أن هناك علاقة بين البيئة الجغرافية والنشاط الاقتصادي، إما أن تكون ظروف بيئية مواتية للنشاط الاقتصادي، فيكون هناك انطلاق وإبداع وإنجاز اقتصادي، وإما أن تكون هناك ظروف بيئية غير مواتية للنشاط الاقتصادي فيكون هناك خمول وجمود اقتصادي وتجاري.

موقع مكة ومناخها:

تقع مكة في شبه الجزيرة العربية متوسطة العالم القديم^(١)، وقد كان موقع مكة من الظروف المواتية للنشاط الاقتصادي، حيث أن شبه الجزيرة العربية بصفة عامة تقع بين حضارات العالم القديم في مصر وبلاد الشام وبلاد الرافدين وفارس كان له أثره الفعال في انتقال الأنشطة الاقتصادية المختلفة من تلك المناطق إلى شبه الجزيرة العربية، أي أن الموقع الجغرافي وسهولة الاتصال والمواصلات بين حضارات العالم القديم قد يسر لسكان شبه الجزيرة العربية بما فيها مكة عملية المبادلة التجارية بينهما.

ومن الناحية الطبيعية الجغرافية تقع مكة في بطن وادي يعرف ببطن مكة وتشرف عليها الجبال من جميع النواحي، وهو ما أوضحه اليعقوبي في وصف مكة حين قال: (ومكة بين جبال عظام وهي أودية ذات شعاب فجبالها المحيطة بها: أبو قبيس الجبل الأعظم منه تشرق الشمس على المسجد الحرام، وقيقعان وفاضح، والمحصب وثور عند الصفا، وثبير، وتفاحة والمطابخ والفلق والحجون، وسقر، ولها من الشعاب: شعب الحجون، وشعب دار مال الله، وشعب البطاطين، وشعب فلق ابن الزبير، وشعب ابن عامر، وشعب الجوف، وشعب الخوز... الخ)^(٢)، وكانت المياه بمكة شحيحة، فكان سكانها يشربون من آبار خارجة من الحرم، فيحملون الماء في المزاد والقرب، ويسكبونها في حياض من آدم بفناء الكعبة ليشرب حجاج البيت.

وذكر ابن هشام أن قريشاً قبل دخولها مكة كانت تشرب من حياض ومصانع على رؤوس الجبال ومن بئر حفرها لؤي بن غالب خارج الحرم عرفت باسم اليسيرة، كانت بظاهر مكة، وينسب المؤرخون إلى قصي وهاشم بن عبد مناف وأمية بن عبد شمس، وعدة بطون من قريش حفر آبار كثيرة حول مكة^(٣)، وكان لوقوع مكة في واد غير

(١) الهمداني: ابن الخائك، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن داود "المعروف بالهمداني" (ت: ٣٣٤هـ) صفة جزيرة العرب، تح: محمد بن علي الأكوخ الحوالي، (١٠٤١هـ)، ط١، مكتبة الإرشاد للنشر والتوزيع: اليمن، صنعاء، (ص١).

(٢) اليعقوبي: أبو العباس أحمد بن إسحق، (ت: ٢٩٢هـ)، تاريخ اليعقوبي، (٢٠١٠م)، ط١، شركة الإعلام للمطبوعات: بيروت، لبنان (ص٧٤).

(٣) ابن هشام: أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافري (ت: ٢١٨هـ)، السيرة النبوية، تح: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ الشلبي، (١٩٥٥م)، ط٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي: القاهرة، مصر، (ج١/ص١٥٦-١٥٨)، وانظر: الأزرق، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق الغساني (ت: ٢٥٠هـ)، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تح: رشدي الصالح ملحق، دار الأندلس للنشر: بيروت، لبنان، (ج٢/ص١٧٤-١٧٦).

ذي زرع سبباً في اعتماد أهلها على الاقوات والمحاصيل التي تحمل إليها من المناطق المجاورة وخصوصاً من الطائف والسرّة^(١).

أما مناخ مكة، فهو مناخ صحراوي حار في الصيف، بارد في الشتاء، وكانت السيول الجارفة تهدد مكة في فصل الخريف، وأقدم سيل ورد ذكره عند المؤرخين هو السيل الذي حدث في عهد الجرهميين ودخل الكعبة وهدمها، فأعادتهم جرهم بناءها، وحدث سيل آخر في عهد خزاعة وأحاطت المياه بالكعبة، وعرف ذلك السيل بسيل قارة^(٢)، مما جعل السيول التي تحتاج مكة بين الحين والآخر تؤثر على متانة الكعبة فأوهت بنائها، وصدعت جدرانها، حتى كادت أن تنهار، فقررت قريش إعادة بناء الكعبة بناء متيناً يصمد أمام السيول، وكان ذلك في السنة الخامسة قبل البعثة النبوية، ولقد شارك رسول الله ﷺ في عملية البناء فكان ينقل معهم الحجارة للكعبة وعليه إزاره^(٣)، وقد تنبه الخلفاء الراشدون لهذا الخطر فأقاموا السدود في الأحياء المرتفعة، كما حدث في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفي عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان^(٤).

سكان مكة:

تذكر المصادر التاريخية أن أقدم من حكم مكة والحجاز هم العمالقة ثم خلفتهم قبيلة جرهم القحطانية، وكان إبراهيم عليه السلام قد أسكن ولده إسماعيل مكة مع امه هاجر، فتزوج إسماعيل امرأة من جرهم، ثم زار إبراهيم عليه السلام مكة مرتين وفي المرة الثانية امره الله تعالى ببناء البيت وساعده في بنائه ولده إسماعيل الذي يأتي بالحجر من عدة جبال إلى موضع البيت^(٥) وقد أشار الله ﷻ إلى ذلك بقوله: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

(١) السيد محمود عبدالعزيز سالم (ت: ١٤٣٠هـ)، تاريخ العرب قبل الإسلام، (١٩٦٧م)، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية: مصر، (ص ٤٩٨).

(٢) الأزرق، أخبار مكة، (ج ١/ص ٤٣)، (ج ٢/ص ١٣٤).

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري (ت: ٢٥٦هـ)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيامه: (المسمى بصحيح البخاري)، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة جامعة (١٩٨٧)، ط ٣، دار ابن كثير: دمشق، اليمامة، بيروت، لبنان، حديث رقم: (٣٦٤) وانظر: مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، (ت: ٢٦١)، جامع الصحيح ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، (١٤١٢هـ)، ط ١، دار الحديث: القاهرة، مصر، حديث رقم: (٣٤٠).

(٤) البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر (ت: ٢٧٩هـ)، فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال: بيروت، لبنان، (١٩٨٨م)، (ج ١/ص ٦٢)، وانظر: الأزرق، أخبار مكة، (ج ٢/ص ١٣٦).

(٥) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، (ت: ٣٤٦هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر تح: كمال حسن مرعي، (١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م)، ط ١، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، (ج ٢/ص ٤٧-٤٩)، انظر: جرجي زيدان، العرب قبل الإسلام، تح: حسين مؤنس مطبعة دار الهلال، القاهرة، مصر، (ص ٢٧٥)، انظر: علي إبراهيم حسن، التاريخ الإسلامي العام، (الجاهلية، الدولة العربية، الدولة العباسية)، ط ٣، مكتبة النهضة المصرية: القاهرة، مصر، (ص ٧٨).

ثم امر تعالى إبراهيم عليه السلام أن يؤذن في الناس بالحج فقال ﷺ: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: ٢٧]، ووفدت خزاعة إلى مكة بعد سيل العرم فنزلوا بظاهرها فأبى جرهم السماح لهم بالإقامة في مكة فنشبت الحرب بينهما ثلاثة أيام انتهت بجزعة جرهم، وتولت خزاعة أمر البيت، وكان أول من ولي البيت منهم هو عمر بن لحي، الذي غير دين إبراهيم وادخل عبادة الاوثان فقليل انه استحضر معه من الشام اصنامًا نصبها حول الكعبة^(١).

وظلت خزاعة تلي أمر البيت، أما مضر فقد احتفظت بحق الإجازة بالناس من عرفة والإفاضة بهم غداة النحر إلى منى^(٢)، ثم تشعبت بطون كنانة ومضر كلها وصاروا إحياء وبيوتات متفرقة وكانوا آنذاك يقيمون بظاهر مكة، إلى أن تمكن قصي بن كلاب بن مرة من انتزاع السيادة والإدارة المكية من خزاعة، ويرجع الفضل إلى قصي في جمع قريش وتقسيمها إلى بطون، فميز بين قريش البطاح وقريش الظواهر (وأخرجهم عن نطاق الفوضى والاضطراب، وأدخلهم قلب مكة فأقامهم فيها أسببًا)^(٣).

وقريش البطاح هي البطون التي كانت تسكن مكة نفسها، وكان بيد رجالها الإدارة والوظائف الكبرى ومنهم التجار والأثرياء، وهي قبائل عبد مناف وبنو عبد الدار وبنو عبد العزى ابن قصي وزهرة، ومخزوم وتيم بن مرة، وجمح، وسهم، وعدى، وبنو عتيك بن عامر بن لؤي^(٤).

أما قريش الظواهر فهي البطون التي سكنت أطراف مكة ومنهم بنو محارب، والحارث بن فهر، وبنو الازد بن غالب بن فهر وبنو هصيص بن عامر بن لؤي، ولم يكن لهذه البطون دورًا مهمًا عند ظهور الدعوة الإسلامية أو بعدها إلا أنهم كانوا في الجاهلية يساهمون في الدفاع عن مكة^(٥).

وبجانب هذه القبائل التي سكنت مكة كان هناك قبائل بدوية لم تكن تتمثل في النظام القائم في مكة ولم تنظم إلى قبائلها، وهؤلاء هم (الأحلاف) وأغلبهم من كنانة وكانوا يشاركون أهل مكة في معظم حروبهم ويسمون (بالأحابيش)، واستوطن بمكة أيضًا عدد من الأجانب المنتمين إلى عشائر أو أمم شتى، وكثير ما سكن هؤلاء في الشعاب المحيطة بمكة، وقد أبيع لبعضهم حق دخول دار الندوة^(٦).

(١) الفاكهي: أبي عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس الفاكهي، (ت: ٢٧٥هـ)، أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، تح: عبد الملك بن عبد الله بن دهب، (١٩٩٣م)، ط٢، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة: مكة المكرمة، السعودية، (ج٥/ص١٥٤).

(٢) المسعودي، مروج الذهب، (م. س)، (ج٢/ص٥٦)،

(٣) علي إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام العام، (م. س)، (ص٩٠).

(٤) المسعودي، مروج الذهب، (م. س)، (ج٢/ص٥٩).

(٥) (م. ن)، (ص٩٥).

(٦) صالح أحمد العلي، محاضرات في تاريخ العرب، (١٩٦٧م)، ط٤، مكتبة الإرشاد: بغداد، العراق، (ص١٠٨)، وانظر: عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسي للدولة العربية (عصور الجاهلية والنبوة والخلفاء الراشدين)، (١٩٨٢م)، ط٧، مكتبة الانجلو المصرية: القاهرة، مصر، (ج١/ص٧٩).

المطلب الثاني: التجارة في مكة المكرمة

اتسعت تجارة قريش بعد ظهور هاشم بن عبد مناف وإخوته، حيث يعد هاشم أول من سن رحلتي الشتاء والصيف، واستطاعوا أن يعقدوا الإيلاف (المعاهدات التجارية) مع رؤساء القبائل والفرس والروم والحبشة، وهو ما أدى إلى ازدهار النشاط الاقتصادي لاسيما في مجال التجارة، وأصبحت قوافل قريش التجارية تسافر بأمان سواء على الصعيد المحلي بين القبائل العربية أو على الصعيد الدولي مع بلاد الفرس والروم، واستفاد تجار قريش حرمة مدينتهم ووجود البيت الحرام فيها، فحصنوا أنفسهم بتلك الحرمة وامنوا على حياتهم وعلى تجارتهم^(١).

ولم يكتف تجار قريش برحليتي الشتاء والصيف بل كانوا يتاجرون في قوافل صغيرة وفي تجارات خاصة، فكان منهم من يذهب إلى الحيرة والأنبار أو بلاد الشام، ومنهم من كان يتجه إلى الأسواق في المواسم يشتري ويبيع باسمه وعلى حسابه، ومنهم من يتاجر مع الحبشة، ومنهم من يذهب إلى اليمن^(٢)، وتكاد تكون التجارة من أهم النشاطات الاقتصادية التي تميزت بها مكة قبل الإسلام، وقد عدتها قريش "من أشرف الأسباب وأعلاها قدراً"، وهي من الأسباب التي أدت إلى انتشار حرفة التجارة بين سكان مكة قبل البعثة، والتفاخر بينهم بالعمل في النشاط التجاري، والكسب منه بشكل أو بآخر، وكانت التجارة تقوم في أغلب الأحيان بشكل جماعي يشترك فيه الأغنياء، ومتوسطوا الحال، وحتى الفقراء والسادة والعبيد^(٣)، ولم يقتصر الأمر عند ذلك بل شاركوا صبيانهم ونساءهم فيها، حيث كان من السنن "الاقتصادية" التي سنّها هاشم، قبول مشاركة أي فرد مهما كان فقيراً في رأس مال قوافل مكة العادية^(٤)، وإعطاؤه مقابل سهمه في الربح مهما صغر، ما أدى إلى ظهور نوع من التكافل والكسب بين الكبير والصغير لم تعرفه قريش من قبل^(٥)، حيث بلغ متوسط عدد إبل القافلة الواحدة الكبيرة ما يراوح بين ألف وألف خمسمئة بعير، كانت تحمل بضائع معدل قيمتها في حدود المليون من الدنانير الذهبية الفارسية أو الرومانية المعمول بها في تلك الأيام^(٦)، وهذا يدل على الانتعاش الاقتصادي الكبير الذي كانت تعيشه قريش في تلك الفترة، كما يظهر لنا من حجم تجارة القوافل الكبير لقريش، إذ أنه كلما كبرت القافلة زاد عدد القائمين على شؤون القافلة، فكان تجار قريش يخرجون بأولادهم للاستعانة بهم وتدريبهم على تحمل المشاق،

(١) أحمد إبراهيم الشريف، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول صلى الله عليه وسلم، (٢٠٠٣م)، دار الفكر العربي: القاهرة، مصر، (ص ١٧١).

(٢) جواد محمد علي العقبلي (ت: ١٤٠٨)، الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: (٢٠٠١م)، ط٤، دار الساقى: بيروت، لبنان، (ص ٦٧).

(٣) فكتور سحاب، إيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف، (١٩٩٢م)، ط١، المركز الثقافي العربي: بيروت، لبنان، (ص ٢٥٤).

(٤) جواد علي، الفصل، (م. س)، (ج ٤/٦٩-٧٠).

(٥) عواطف أديب سلامة، قريش قبل الإسلام دورها السياسي والاقتصادي والديني، تح: عبدالرحمن الطيب الأنصاري، (١٩٩٤م)، دار المريخ: الرياض، السعودية، (ص ٢٣٣).

(٦) سعد عبدالعزيز الراشد، وآخرون، آثار منطقة مكة المكرمة، إصدار وكالة الآثار والمتاحف - سلسلة آثار المملكة العربية السعودية، (٢٠٠٣م)، ط١، مطابع دار الهلال للأوفست: الرياض، السعودية، (ص ٣٩، ٣٤).

وممارسة أعمال التجارة، وقد أشارت كتب السيرة إلى خروج النبي ﷺ وهو صبي مع عمه أبي طالب في التجارة إلى الشام^(١)، كما أن تراجم بعض الصحابة رضي الله عنهم مثل عثمان بن عفان رضي الله عنه، وعبد الرحمن بن عوف، ومعاوية بن أبي سفيان، وعبد الرحمن بن أبي بكر، تكشف أنهم رافقوا القوافل التجارية وهم صغار السن^(٢).

ويبدو أن الرواج الاقتصادي الكبير الذي كانت تشهده قريش في تلك الفترة، قد شجع بعض النساء على أن يمتنهن هذه الحرفة وهذا النشاط، من أمثال السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنهما، حيث كانت تمارس التجارة في سوق الحزورة^(٣)، وسيدة أخرى يقال لها أم أمار القارية^(٤) وتمارس التجارة بمكة وتشتري في فناء دارها^(٥)، كما كانت هناك عبلة بنت عبيد بن خالد بن حنظلة زوجة عبد شمس بن عبد مناف، وكذلك زوجة رباح بن الأمل، وكانتا تبيعان الأقمشة والعطور^(٦)، وقد تنوعت الأنشطة التجارية بين تجار قريش، وتفرّد كل طائفة من تجار قريش بنوع خاص من التجارة، فمنهم من كان متخصصاً في بيع "البز"^(٧)، كأبي بكر بن أبي قحافة التميمي، وعثمان بن عفان الأموي، وطلحة بن عبيد الله التميمي، وعبد الرحمن بن عوف الزهري والحارث بن عبد المطلب بن هاشم، ومن اشتهروا أيضاً ببيع "الحنطة" من قريش العوام بن خويلد الأسدي، وربما جمع التاجر بين نشاطين فقد كان أبو بكر يبيع "البز" بالشام ويشترى "الدقيق"^(٨)، وكان حكيم بن حزام يبيع "القمح" و"الدقيق"^(٩)، ومن اهتمن أيضاً صناعتين معاً أبو طالب بن عبد المطلب، حيث كان يجمع بين "البزاة" و"العطارة" ويقال عنه: إنه كان يبيع "البز" في أول النهار، ويبيع "العطارة" آخر النهار، ومن الذين اشتهروا بحرفة "العطارة" أيضاً نصر بن الحارث، وسمرة بن جندب^(١٠).

(١) الزهري، محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري، (ت: ١٢٤هـ) المغازي النبوية، تحقيق سهيل زكار، (١٩٨١م)، ط ١، دار الفكر: بيروت، لبنان، (ص ٤٠)، وانظر: ابن هشام، السيرة، (م. س)، (ج ١/ص ١٨٠)، وانظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (ط ١)، (١٩٨٧م)، دار الكتب العلمية: بيروت، لبنان، (ج ٢/ص ٢٧٧).

(٢) ابن هشام، السيرة، (م. س)، (ج ٤/ص ٤٣١).

(٣) (م. ن)، (ج ١/ص ١٨٨).

(٤) الأزرقي، أخبار مكة، (م. س)، (ج ٢/ص ٢٥٦).

(٥) الفاكهي، أخبار مكة، (م. س)، (ج ٣/ص ٣١٧).

(٦) ناصر بن سعد الرشيد، سوق عكاظ في الجاهلية والإسلام تاريخه ونشاطه وموقعه، (١٩٧٧م)، ط ١، دار الأنصار: القاهرة، مصر، (ص ١٦٢).

(٧) البز: نوع من الثياب، والبزاز حرفته بيع الثياب، المعجم الوسيط، (ج ١/ص ٥٦).

(٨) ابن الكلبي: أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن الحارث بن عبد الحارث الكلبي، (ت: ٢٠٤هـ)، مثالب العرب مع نصوص من مثالب الهيثم بن عدي، تح: جاسم ياسين الدرويش وسليمة كاظم حسين، (٢٠١٥م)، ط ١، تموز للطباعة والنشر والتوزيع: دمشق، سوريا، (ص ٨٨).

(٩) الفاكهي، أخبار مكة (ج ٣/ص ٢٦٤).

(١٠) ابن الكلبي، مثالب العرب، (م. س)، (ص ٨٨-٩٨).

وكانت قوافل قريش التجارية تتعامل بصيغة وسيط في عمليات التبادل التجاري في السلع المحلية في شبه الجزيرة العربية أو السلع الدولية القادمة من الصين والهند أو الآتية من إفريقيا إلى اليمن ومن ثم نقلها إلى الشام لمبادلتهم بالسلع المنتجة في تلك البلاد، وكان تجار قريش يتعاملون في المنتجات المحلية من سلع وبضائع وفي طليعتها الجلود المذهبة "الأدم" التي كانت تصنع في الطائف واليمن^(١)، ويحملونها إلى الشام والعراق ولما هاجر المسلمون إلى الحبشة وأرسلت قريش في طلبهم جمعوا هدايا للنجاشي وبطارقته مما يستطرف من متاع مكة وكان أعجب ما يأتيه منها "الأدم" فجمعوا للنجاشي "أدمًا" كثيرًا ولم يتركوا بطريقًا من بطارقته إلا أهدوا له^(٢).

أما السلع المحلية الأخرى التي كانت تتعامل بها قريش في تجارتها فأبرزها "الزبيب" و"الصمغ" و"البر" و"البرود اليمانية" و"الثياب العدنية" و"الأسلحة" و"مصنوعات الحديد" و"المعادن الثمينة" وهي من أهم السلع الرئيسية التي تتكون منها تجارة قريش^(٣).

وتأتي كذلك أيضًا سلعة "العطور" التي اشتهرت بها اليمن والحبشة، فقد ذكر الطبري رواية عن عفيف الكندي الذي كان صديقًا للعباس حيث يقول: "كان العباس لي صديقًا يختلف إلى اليمن يشترى "العطر" فيبيعه أيام الموسم"^(٤)، وكانت "العطور" تباع لكبار الأغنياء في مكة ومن ثم تحملها القوافل إلى بلاد الشام مع السلع المحلية الأخرى "كالزبيب" الذي كان يأتي من الطائف و"المعادن" من الحجاز و"اللبان" و"المر" و"البلادن" و"العقيق" من اليمن^(٥).

وكانت أهم السلع الدولية القادمة من الصين التي يتعامل بها تجار قريش هي "الحريز"، أما السلع القادمة من الهند فكان أهمها "خشب الصندل" و"التوابل" و"الأحجار الكريمة"، أما سلع إفريقيا فكان أبرزها "العطور" و"العاج" و"خشب الأبنوس" و"الرقيق" فضلًا عن "القمح" يأتي من مصر، أما السلع المستوردة التي كانت تعود بها قوافل قريش التجارية من الشام، فكان أبرزها "زيت الزيتون" من فلسطين و"القمح" من حوران فضلًا عن "الخمر" و"الجواري" والمواد المصنعة في هذه المنطقة "كالأسلحة" و"المنسوجات".

ومن السلع الأخرى التي كانت تتاجر بها قريش هي "الفضة"، فقد ذكر الطبري أن أبو سفيان خرج في قافلة تجارية ومعه تجار وكانت معه "فضة" كثيرة هي أعظم تجارتهم^(٦)، وذكر المسعودي أن زعماء قريش كانوا يفرضون ضريبة على من يدخل مكة من التجار الغرباء عن قريش عرفت بالعشر^(٧).

(١) (م. ن)، (ص ٩٠).

(٢) ابن هشام، السيرة، (م. س)، (ج ٢/ص ٨٧).

(٣) جواد علي، المفصل، (م. س)، (ج ٧/ص ٢٣٧).

(٤) الطبري، تاريخ الطبري، (م. س)، (ج ٢/ص ٣١٢).

(٥) إبراهيم بيضون، الإيلاف القريشي مجلة تاريخ العرب والعالم، الكويت، (عدد ٤٢)، (ص ٣٣).

(٦) الطبري، تاريخ الطبري، (م. س)، (ج ٢/ص ٤٩٢).

(٧) المسعودي: مروج الذهب (ج ٢/ص ٥٨).

المبحث الثاني: الصناعات والحرف بمكة قبل الإسلام

المطلب الأول: مدلول لفظي الصناعة والحرفة

بعد أن استعرضنا تاريخ مكة وقبل الخوض في التفاصيل عن الحرف والصناعات في مكة قبل الإسلام، ينبغي علينا أولاً: التعريف بلفظي الحرف والصناعات لغة واصطلاحاً.

فالحرفة في اللغة: اسم من الاحتراف وهو الاكتساب، ويقال: هو يحرف لعياله ويحترف، بمعنى يكتسب من ها هنا وما هنا^(١).

وقيل: الحرفة هي الصناعة، والمحترف هو الصانع، وفلان حريفي، أي مُعاملٍ^(٢)، وحرفة الرجل صنعته، وحَرَفَ لأهله واحترف، بمعنى كسب أيّاً كان^(٣).

والحرفة في الاصطلاح: الطعمة والصناعة التي يرتزق منها، وهي جهة الكسب، وكل ما اشتغل به الإنسان فإنه يسمى عند العرب صنعة وحرفة، كما ورد في الأثر عن عمر أنه قال: "إني لأرى الرجل فيعجبني، فأقول: هل له حرفة؟ إن قالوا: لا، سقط من عيني"^(٤).

فالحرفة: تطلق على كل عمل يقوم به الإنسان، فهي طريقة للكسب، ووسيلة للمعاش.

والصناعة في اللغة: هي حرفة الصانع، وعمله الصنعة^(٥)؛ ورجل صنيع اليدين، وصنَّعَ اليدين أي صانع حاذق بعمل اليدين، وامرأة صنَّاع اليدين، أي حاذقة ماهرة بعمل اليدين، وامرأتان صناعتان ونسوة صنَّع^(٦) والصناع (جمع صانع): وهم الذين يصنعون أو يعملون بأيديهم^(٧).

(١) أبو منصور محمد بن أحمد (ت/٣٧٠هـ)، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، (٢٠٠١م)، ط١، دار إحياء التراث العربي: لبنان، بيروت، (ج٥/ص١٦)؛ وانظر: ابن منظور: جمال الدين محمد بن مكرم (ت: ٧١١هـ)، لسان العرب، (١٩٩٣م)، ط٣، دار صادر: بيروت، (ج٢/ص٨٣٩)؛ وانظر: علي بن محمد بن أحمد بن موسى ابن مسعود، أبو الحسن ابن ذي الوارثين، (ت: ٧٨٩هـ)، تخرّيج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله من الحرف والصناعات والعمالات الشرعية، تح: إحسان عباس، (١٩٩٨م)، ط٢، دار الغرب الإسلامي: بيروت، لبنان، (ص٧٩٣).

(٢) الجوهري: إسماعيل بن حماد الجوهري، (ت: ٣٩٣هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد بن عبد الغفور عطار، (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، ط٢، دار العلم للملايين: بيروت، (ج٤/ص١٣٤٣).

(٣) ابن منظور، لسان العرب، (م. س)، (ج٢/ص٨٣٩)؛ الخزاعي، الدلالات، (م. س)، (ج٧٩٣).

(٤) محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحيني الزبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)، ط١، وزارة الإرشاد والأبناء، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب: الكويت، (ج٢٣/ص١٢٤)، وانظر: جواد علي، المفصل، (م. س)، (ج٧/ص٥٠٥).

(٥) الجوهري، الصحاح، (م. س)، (ج٣/ص١٢٤٥)؛ وانظر: ابن منظور، لسان العرب، (م. س)، (ج٤/ص٢٥٠٨)؛ وانظر: والخزاعي، الدلالات، (ص٧٩٤)؛ وانظر: الزبيدي، العروس، (م. س)، (ج٢١/ص٣٦٤).

(٦) الجوهري، الصحاح، (م. س)، (ج٣/ص١٢٤٦)؛ وانظر: ابن منظور، لسان العرب، (م. س)، (ج٤/ص٢٥٠٨)؛ وانظر: الخزاعي، الدلالات، (م. س)، (ص٧٩٤).

(٧) الأزهري، التهذيب، (م. س)، (ج٤/ص٣٨).

والصناعة بالمعنى الاصطلاحي: عبارة عن عمل يدوي يجريه الصانع في صنعه، ويكون مما يغير في ذات المصنوع، مثل الحدادة، والصباغة، وفي هذه وأمثالها يسمى المصنوع باسم غير اسم مادته^(١)، وعماد الصانع على يديه، يستعملها في صنع الأشياء، ويعتمد على ذكائه في تحويل الأشياء إلى أشياء أخرى، وهي محور الإنتاج في الحياة الاقتصادية^(٢).

ويبدو أن مفهوم الحرفة أعم وأشمل من مفهوم الصناعة، حيث يدخل في نطاق الحرفة، كل عمل يقوم به الإنسان، فالحرفة هي "الطعمة والصناعة التي يرتزق منها، وهي جهة الكسب"، والاحتراف هو الاكتساب أيًا كان^(٣). وبهذا تكون الحرفة عبارة عن كل وجه يتقلب فيه الإنسان وينصرف للكسب، وتشمل التجارة، والزراعة، والسمسرة، والدلالة، والجلاب، والمنادي، والخياطة، والصباغة، والدباغة، والوراقة، والحدادة، الخ^(٤).

أما الصناعة فهي عملية تحويل المواد الأولية إلى مواد أخرى أكثر فائدة منها، وهذا يتطلب استغلال ثروات البلاد الطبيعية من حاصلات زراعية، ومعادن وأخشاب وغيرها، وتسخيرها لخدمة الصناعة، كاستغلال القطن والكتان والحريز في صناعة المنسوجات، واستغلال المعادن في صناعة الحدادة والصباغة وغيرها، وهذه الصناعات التحويلية يمكن أن نطلق عليها اسم "الحرف الصناعية" وهي بهذا التعريف تدخل في مفهوم الحرفة، ونجد في مصادر التاريخ الإسلامي ما يؤكد ذلك، فقد أشار المجيلدي^(٥) إلى "أهل الحرف والصنائع" ويذكر منهم: الدباغ، والسمسار، والخراز، والصائغ، والخياط، والصفار، والحائك، والنجار، والحداد، ونجد إشارات عند السقطي^(٦)، حين يقول "ضروب الصناع والعمال" وكذلك عند ابن حيان^(٧) بقوله: "أصحاب الصنائع"، وهي إشارات ربما تشعرننا بعدم وجود فارق بين الحرفة والصناعة.

وتجدر الإشارة إلى أن بعض الباحثين قد قسم الحرف إلى قسمين:

حرف إنتاجية، وجعل على رأسهم: التجار والحدادين والخرازين والحدائيين والنجارين والخياطين والقواسين والغزالين والصباغين والدباغين وصناع الأواني.

-
- (١) ظاهر خير الله الشويري، الحرفة وتوابعها، مجلة المقتطف، الجزء الأول من (٢٩٤)، (١٩٠٤م)، القاهرة، مصر، (ص٥٧-٥٨).
- (٢) واضح الصمد، الصنائع والحرف عند العرب في العصر الجاهلي، (١٩٨١م)، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر: بيروت، لبنان، (ص١٥).
- (٣) ابن منظور، لسان العرب، (م. س)، (ج٤/ص٢٥٠٨)، الزبيدي، العروس، (م. س)، (ج٢٣/ص١٣٣).
- (٤) الشويري، الحرفة، (م. س)، (ص٥٧).
- (٥) المجيلدي، التيسير في أحكام التسعير، تحقيق موسى لقبال، الجزائر، (١٩٧٠م)، (ص٨٣-٩٣).
- (٦) السقطي، أبو عبد الله محمد بن أبي محمد المالقي الأندلسي، آداب الحسية، تح: ليفي بروفنسال، كولان، (١٩٣١م)، مطبعة إرنست لورو: باريس، فرنسا، (ص٩).
- (٧) ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان بن محمد بن حيان بن وهب (ت: ٤٦٩هـ)، المقتبس من أبناء أهل الأندلس، تح: محمود علي مكي، (١٩٧٠م)، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية: القاهرة، مصر، (ص٢٠-٤٩).

وحرف خدمية ومنهم: الجزارون والبنائون والسقاؤون والخطابون والحلاقون والحجامون والجمالون والحمارون والمجمرون وصانعو الأطعمة^(١).

المطلب الثاني: النشاط الصناعي والحرفي في مكة المكرمة قبل الإسلام

عرف العرب في جاهليتهم ضروباً مختلفة من الصناعات؛ وأتقنوا فنوناً كثيرة منها ولم تتوقف معرفتهم عند تلك الصناعات التي تقتضيها ضرورة المعاش "كالخياكة والنجارة والحدادة وأمثالها"^(٢)، وكان أهل مكة قد احترفوا التجارة فضلاً عن الصناعات المختلفة التي اشتغل بها بعض مشاهير وأشرف مكة، وكان أهل مكة قد احترفوا التجارة فضلاً عن الصناعات المختلفة التي اشتغل بها بعض مشاهير وأشرف مكة.

ومن الصناعات التي قامت في مكة الأسلحة من رماح وسكاكين وسيوف ودروع ونبال وصناعة الفخار، من قدور وجفان وأباريق وصناعة الأسرة والأرائك كذلك صناعات البزاة والخياطة والجزارة والخمارة والنخاسة^(٣)، وبعض المهن الأخرى كمعالجة الخيل والإبل (الطب البيطري) والصياغة والحجامة^(٤)، بل أن العرب تجاوزوا ذلك إلى صنائع أخرى مما تدعو إليه "عوائد الترف وأحواله كالدباغة والصياغة"^(٥)، وقد كانت هذه الصناعات تشكل مصدر دخل لمحترفيها والقائمين عليها، كما أنها كانت تُعدُّ مصدر إنتاج أساسي في مجتمعهم.

ويمكن استعراض أبرز الحرف والصناعات التي ظهرت في مكة على النحو الآتي:

حرفة الحدادة: كثرت حوانيت الحدادين بمكة^(٦)، ومن الذين اشتهروا بهذه الصنعة العاص بن هشام وأخو أبي جهل وكانا حدادين^(٧)، والوليد بن المغيرة، وأمّية بن خلف الذي كان يصنع البرم^(٨)، وخباب بن الأرت وكان في الجاهلية حداداً يصنع السيوف^(٩)، والحطمة بن محارب العبدي من بني عبد القيس الذي نسبت إليه الدروع

(١) إلهام أحمد البابطين، الحياة الاجتماعية في مكة منذ ظهور الإسلام، حتى نهاية العصر الأموي، (١٩٩٨م)، الرياض، السعودية، (ص١٧٣-٢٠٥).

(٢) ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، (ت: ٨٠٨هـ) المقدمة، (مُسْتَأَلًا من كتابه: العبر، وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر)، مراجعة: د. سهيل زكار، (١٩٨١م)، ط١، دار الفكر: بيروت، لبنان، (ص٤٠١).

(٣) جواد علي، المفصل، (م. س)، (ج٤/ص١٢٦).

(٤) (م. ن)، (ج٤/ص١٢٦).

(٥) ابن خلدون، المقدمة، (م. س)، (ص٤٠١).

(٦) جواد علي، المفصل، (م. س)، (ج٧/ص٥١٦).

(٧) ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، (ت: ٢٧٦هـ)، المعارف، تح: ثروت عكاشة، (١٩٩٢م)، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب: القاهرة، مصر، (ص٥٧٥).

(٨) (م. ن) (ص٥٧٥)، البرم: قنان من الجبال واحدتها برمة وهي القدر المتخذ في الأصل من الحجارة.

(٩) ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله الهاشمي البصري، (ت: ٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى، تحقيق: إحسان عباس، ط١، (١٩٦٨م)، و(القسم المتمم لتابع أهل المدينة ومن بعدهم)، دراسة وتحقيق زياد محمد منصور، (١٤٠٣هـ)، ط١، المجلس العلمي

بجامعة الإسلامية: المدينة النبوية، دار صادر: بيروت، لبنان، (ج٣/ص١٦٤).

الحطمية^(١)، ومن الحدادين الأعاجم الذين ذكرهم أهل الأخبار، الأزرق بن عقبة أبو عقبة، كانوا يجلبون المواد الأولية من المواقع القريبة من مكة وخاصة تلك الواقعة في بني سليم^(٢). وقد تنوعت الصناعات المعدنية لأهل مكة وشملت أصنافاً كثيرة، كالأسلحة بمختلف أنواعها، كما شملت صناعات حديدية متنوعة، كصناعة اللجام^(٣)، والشكيمة^(٤)، والحكمة^(٥)، كما صنعت الحدوة^(٦)، وقد حظيت صناعة السلاح بأهمية كبرى لدى أهل مكة، حيث كانت مكة تُعدّ واحدة من أهم مراكز صناعة الأسلحة في الحجاز، خاصة وعند العرب عامة، ويرجع ذلك لكثرة أسفارهم، واحتياجهم للسلاح للدفاع عن قوافلهم وأموالهم وأعراضهم وكذلك ممارسة مهنة الصيد، فكان لا غنى عنه، لذلك حرص أهل مكة على الحصول عليه سواء عن طريق الاستيراد أو صناعته محلياً^(٧) إضافة إلى صناعة الدروع^(٨)، واشتهرت مكة بصناعة السيوف والدروع والسهم، كما عرفت مكة صناعات حديدية مختصة بأدوات الطعام والشراب، والأدوات المنزلية، حيث كان يصنع منه العديد من الأدوات مثل: الإجانة: وهو إناء كبير يصنع من الحديد غالباً ويستعمل في حفظ السوائل^(٩)، كما كانت تصنع الأجفان، وهي أوانٍ تستعمل في عمل الأكل أو حفظه^(١٠)، إضافة إلى الأباريق والأطباق والسكاكين، ومقابض الأواني والأقداح^(١١)، والقذور النحاسية^(١٢) وأدوات كسر الحجارة^(١٣) وأدوات النجارة^(١٤) والمعاول^(١٥) والدلاء^(١٦).

- (١) أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت: ٤٦٣هـ)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، (١٩٨١م)، ط٥، دار الجيل للطباعة والنشر: بيروت، لبنان، (ج ٢/٢٣٣).
- (٢) الهمداني، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن داود (ت: ٣٣٦هـ)، كتاب الجوهريتين العتيقتين المائعتين من الصفراء والبيضاء الذهب والفضة، تحذف: تح: يوسف محمد عبدالله، (٢٠٠٣م)، ط١، مكتبة الإرشاد: صنعاء، اليمن، (ص ٢٤٥، ٣٩١).
- (٣) اللجام: هو أداة تستخدم لتوجيه الخيل والتحكم في توقفه واندفاعه، الاستخدام الصحيح للجام يساعد الفارس على تلبية أوامر الخيل بشكل دقيق، يتكون اللجام عادة من عدة أجزاء تعمل معاً لتحقيق هذا الهدف.
- (٤) الشكيمة: هي قطعة معدنية توضع في فم الحصان للتحكم فيه، يتم ذلك عن طريق الضغط على جزء معين في فم الحصان ورأسه، الشكيمة تأتي بأحجام مختلفة تبني على حجم فم الحصان واحتياجاته.
- (٥) الحكمة: وهي الحديدة التي تكون على أنف الفرس على شكل دائرة وتمنعه عند الشد من مخالفة راحته.
- (٦) ابن منظور، لسان العرب (م. س)، مادة لجام، الشكيمة، والحكمة، الحدوة، (والحدوة: هي نعل الخيل مصنوعة من حديد على شكل قوس والذي يوضع على حافرها من قبل مربيهما من بني الإنسان لمنع إحتكاكه بالسطوح الخشنة ولحمايه حوافرها من الأذى).
- (٧) واضح الصمد، الصناعات والحرف عند العرب في العصر الجاهلي، (م. س)، (ص ١٢٤، ١٢٥).
- (٨) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، (م. س)، (ج ١/ص ٢٥٢).
- (٩) جواد علي، المفصل، (م. س)، (ج ٧/ص ٥٥٩، ٥٦٠).
- (١٠) ابن قتيبة، عيون الأخبار، (م. س)، (ج ٣/ص ٢٦٨).
- (١١) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، (م. س)، (ج ٣/ص ٢٨٠).
- (١٢) (م. ن)، (ج ٣/ص ٢٨٧).
- (١٣) (م. ن)، (ج ٣/ص ٢٤٢).
- (١٤) (م. ن)، (ج ٣/ص ٢٧٧ - ٢٨٣).
- (١٥) (م. ن)، (ج ٢/ص ١٦).
- (١٦) (م. ن)، جمع (دلو)، (ج ٢/ص ٥٢ - ٥٤).

حرفة الصياغة: عرف أهل مكة إلى جانب حرفة الحدادة حرفة الصياغة، من الذهب والفضة والذي كان يجلب إليها من نجد^(١)، إضافة إلى مناجم الذهب والفضة القريبة من مكة مثل: منجم ذهب المويح، جنوب شرق مكة^(٢)، تشير الروايات التاريخية إلى وجود مناجم ذهب في مكة المكرمة وكان القرشيون يعملون فيها ويتاجرون في الذهب الخام^(٣)، واشتهرت منطقة مهد الذهب الواقعة جنوب يثرب بمناجم الذهب^(٤)، وصنعوا القلائد والأساور والخالخل وغيرها.

كما جاء في الفاكهي^(٥)، استعمال عبدالمطلب الذهب لكسوة باب الكعبة؛ إذ يقول: "فخرج الأصفران على الغزالين للكعبة فضرهما عبد المطلب في باب الكعبة" فكان أول ذهب حليته الكعبة، كما استعمل الذهب لعمل طوق حول الحجر الأسود^(٦).

وقد ألف أهل مكة وغيرهم استعمال الآنية مختصة بأدوات الطعام والشراب، والأدوات المنزلية، حيث كان يصنع منه العديد من الأدوات مثل: الإجانة: وهو إناء كبير يصنع من الحديد غالبًا ويستعمل في حفظ السوائل^(٧)، كما كانت تصنع الأجنفان، وهي أوانٍ تستعمل في عمل الأكل أو حفظه، إضافة إلى الأباريق والأطباق والسكاكين، ومقايض الأواني والأقداح^(٨)، والقذور النحاسية^(٩) وأدوات كسر الحجارة^(١٠) وأدوات التجارة^(١١) والمعاول^(١٢) والدلاء^(١٣)، كما يذكر الفاكهي^(١٤) اسم شخص كان يقوم بإصلاح ضبة الباب، ولا يستبعد الباحث أن يكون حدادًا احتترف صناعة أففال الأبواب وما شابهه.

(١) الهمداني، الجوهريين، (م. س)، (ص ٨٩).

(٢) (م. ن)، (ص ٣٩٦).

(٣) ولمزيد حول هذا الموضوع انظر المناقشات التي وضعها باتريشيا كرون، وتعليقات آمال الروي - باتريشيا كرون، تجارة مكة وظهور الإسلام، ترجمة ودراسة: آمال الروي، مراجعة وتقديم: محمد إبراهيم بكر، المجلس الأعلى للثقافة: القاهرة، مصر، (٢٠٠٥م)، (ص ١٦٨-١٩٦).

(٤) الهمداني، الجوهريين، (م. س)، (ص ٣٦٩).

(٥) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، (م. س)، (ج ٢/ص ٢٠).

(٦) (م. ن)، (ج ١/ص ٤٧٧).

(٧) جواد علي، المفصل، (ج ٧/ص ٥٥٩-٥٦٠).

(٨) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، (ج ٣/ص ٢٨٠).

(٩) (م. ن)، (ج ٣/ص ٢٨٧).

(١٠) (م. ن)، (ج ٣/ص ٢٤٢).

(١١) (م. ن)، (ج ٣/ص ٢٧٧-٢٨٣).

(١٢) (م. ن)، (ج ٢/ص ١٦).

(١٣) (م. ن)، (ج ٢/ص ٥٢-٥٤).

(١٤) (م. ن)، (ج ٣/ص ٣٤٧).

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: { لا تلبسوا الحرير ولا الديباج، ولا تشربوا في آنية الذهب والفضة، ولا تأكلوا في صحافها؛ فإنها لهم في الدنيا، ولنا في الآخرة }^(١)، وفي ذلك دليل على وجودها واستعمالها عند العرب قبل الإسلام.

حرفة البناء: وجدت حرفة البنائين في مكة، وكان معظم عمال البناء من الموالي^(٢)، فقد اشتهر في مكة عدد منهم كما في بناء شعب الخوز والذي ينسب بناؤها إلى موالي لعبد الرحمن بن نافع بن عبد الحارث الخزاعي^(٣)، وبناء زرز من مولى بني الجبير بن مطعم^(٤)، والديلمى وكان من موالي معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه^(٥)، وزيقيا من موالي لآل أبي ربيعة المخزومي^(٦)، حيث قام هؤلاء البناؤون ببناء الكثير من الدور مثل دار العجلة^(٧)، ودار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي^(٨)، ودور أخرى^(٩)، مستخدمين النورة في عملية البناء^(١٠)، ثم طلاؤها بالبياض^(١١)، وربما نقشت دور أخرى بالجص مثل دار الحرشي^(١٢)، كما كان البناؤون يقومون بحفر الآبار بمكة، وعمل البرك والساقيات^(١٣)، وهذا يعكس بدوره وجود العاملين بهذه الحرفة.

ومن الحرف المتصلة بالبناء قطع الحجارة^(١٤)، والبناء بالحجر المنقوشة^(١٥)، أو فيها تماثيل مصورة في الحجارة، وقد استغل أهل مكة الجبال المحيطة بما فاقتلعوا حجارها وقاموا بقطعها وتسويتها ونحتها فصنعوا منها البرم^(١٦)، وكان أهل مكة ينحتون الأقداح، ومن كان يعمل بنحتها أبي رافع مولى العباس بن عبد المطلب، وكان رجال من أهل مكة يبيعونها - أي البرم - في الأسواق ومنهم أمية بن خلف الجمحي، ويبدو أن النساء شاركن الرجال في بيع البرم^(١٧).

(١) البخاري، الصحيح، حديث رقم: (٥٤٢٦) واللفظ له، وانظر: مسلم، حديث رقم: (٢٠٦٧).

(٢) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، (م. س)، (ج ٤/ص ٢٠١).

(٣) (م. ن)، (ج ٤/ص ٢٧٥)؛ وانظر: الأزقي، أخبار مكة، (م. س)، (ج ٢/ص ٢٧٥).

(٤) (م. ن)، (ج ٤/ص ٢١٠-٢١١).

(٥) (م. ن)، (ج ٤/ص ١٧٥).

(٦) (م. ن)، (ج ٣/ص ٢٤٤، ٢٤٥).

(٧) (م. ن)، (ج ٣/ص ٣٠٩).

(٨) (م. ن)، (ج ٣/ص ٢٨٧-٣٣١).

(٩) (م. ن)، (ج ٣/ص ٢٣٣-٢٥٢).

(١٠) (م. ن)، (ج ٢/ص ٢٤٥)، (ج ٣/ص ١٠٠).

(١١) (م. ن)، (ج ٣/ص ٢٨٧).

(١٢) (م. ن)، (ج ٣/ص ٢٢٦-٢٧٦).

(١٣) (م. ن)، (ج ٢/ص ١٤٩، ١٥١، ٢٢٦)، (ج ٤/ص ١١١-١١٦).

(١٤) (م. ن)، (ج ٢/ص ١٨٠)، (ج ٣/ص ٢٧٩-٢٩٠).

(١٥) (م. ن)، (ج ٣/ص ٢٧٩).

(١٦) أحمد الشريف، مكة والمدينة، (ص ٢٢٣).

(١٧) ابن قتيبة، المعارف، (م. س)، (ص ٥٧٦).

حرفة النجارة: وتعد حرفة النجارة مكتملة لحرفة البناء^(١)، فلا يكاد يتم البناء إلا بها، حيث تعتمد الكثير من أعمال البناء على الخشب لعمل أسقف المنازل والأبواب والنوافذ وغيرها، "مر عمر بن الخطاب بأبي سفيان وهو يبني بيتاً له وقد طرح خشباً"^(٢)، حيث يعتبر الخشب عنصراً مهماً من عناصر البناء، ولا يتم البناء إلا به^(٣)، وكان الخشب يجلب من أماكن مختلفة من مكة، وخاصة من جبال السراة، القريبة من مكة^(٤)، وتعددت صنوف الشجر الذي كان يستعمل للبناء في مكة منها شجر السدر، والجوز، والشوحط، والقرظ، والطلح...^(٥).

واشتهرت في مكة صناعات خشبية مثل صناعة القصب والصحاف "والجفان" وهي أوان خشبية يجعل فيها الثريد وغيره من أنواع الطعام^(٦)، وكذلك صناعة الأقواس، وقد عرف أهل مكة صناعات خشبية أخرى تشمل أدوات منزلية، وصناعة الكراسي، والتي كان أمرها شائعاً بين الناس، إضافة إلى المطارق الخشبية لسهولة حملها لدق أوتاد الخيام وتثبيتها في الأرض^(٧)، كما صنع أهل مكة بعض أصنامهم من الخشب، فقد كان لهند بنت عتبة صنم في بيتها مصنوع من الخشب، فلما أسلمت كسرتة وهي تقول: كنا منك في غرور^(٨).

كما وجد داخل الكعبة تمثال لحمامة مصنوع من الخشب^(٩)، ومن الجدير بالذكر أن أهل مكة عرفوا حرفة (التطعيم)، أي إدخال المعادن في الخشب، وخاصة الذهب، فقد كان باب الكعبة مصنوعاً من الخشب المطعم بالذهب^(١٠)، وكذلك في صناعة أبواب دورهم^(١١)، إضافة إلى صناعة الصناديق الخشبية لحفظ حاجياتهم، وقد امتنهن بعض أهل مكة النجارة ومن أشهر من امتنهن حرفة النجارة في مكة عروة بن الزبير، الذي كان يقطع نبات السدر بمكة ويصنع منه أبواباً للبيوت^(١٢)، وعتبة بن أبي وقاص^(١٣)، بالإضافة إلى عدد كبير من العبيد والموالي أمثال، أبي رافع، مولى العباس بن عبد المطلب^(١٤)، وقد استعان أهل مكة بنجار للاستفادة من أخشاب سفينة

(١) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، (م. س)، (ج ٣/ص ٢٧٧-٢٨٣).

(٢) (م. ن)، (ج ٣/ص ٣٦٦).

(٣) (م. ن)، (ج ١/ص ٣٩٩).

(٤) جواد علي، المفصل، (ج ٧/ص ٥٤٨).

(٥) الصمد، الحرف، (ص ٢٧-٣٠).

(٦) ابن منظور، لسان العرب، (م. س)، (ج ١/ص ٦٤٥).

(٧) الشريف، مكة، (م. س)، (ص ٣٧٦).

(٨) جواد علي، المفصل، (م. س)، (ج ٧/ص ٥٥١).

(٩) الأزرق، أخبار مكة، (م. س)، (ج ١/ص ١٢٣)، وانظر: الطبري، تاريخ الطبري، (ج ٢/ص ٣٩، ٤٠).

(١٠) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، (م. س)، (ج ٣/ص ٢٢٩).

(١١) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، (م. س)، (ج ٢/ص ١٨٨).

(١٢) ابن قتيبة، المعارف، (م. س)، (ص ٥٧٦).

(١٣) (م. ن)، (ص ٥٧٦).

(١٤) ابن هشام، السيرة، (م. س)، (ج ٢/ص ٦٢٧).

رومية غرقت في ميناء مكة المكرمة الشعبية على البحر الأحمر، وذلك لعمل سقف الكعبة وباب لها من الخشب^(١)، وكذلك لعمل أبواب دورهم^(٢).

حرفة الصيد: ذكر الصيد في آيات كثيرة من القرآن الكريم، مما يدل على أهميته ومكانته في حياة العرب يومئذ، والصيد هي من أقدم الحرف التي عرفها الإنسان في التاريخ، وفي مكة كان الصيد رغبة وحاجة، رغبة للأثرياء للأنس، وحاجة للفقراء لسد الجوع، وقد استعان العرب بالخيول والصقور وبالكلاب السريعة الجري في الصيد كذلك، وعن عبدالله ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: {من اقتنى كلبًا، إلا كلب صيد، أو ماشية، نقص من أجره كل يوم قيراطان}^(٣).

ويذكر ابن هشام إن أبا جهل مَرَّ برسول الله ﷺ فأذاه والرسول لم يردَّ عليه ولم يكلمه، فسمع بذلك حمزة بن عبدالمطلب رضي الله عنه وهو عائدٌ من الصيد، وكان صاحب قنص يرميه ويخرج له، وكان إذا رجع من قنصه لم يصل إلى أهله حتى يطوف بالكعبة وذهب لأبي جهل فوجده جالسًا بين سادة قريش عند المسجد الحرام، فاندفع عليه وضربه بالقوس فأصابه بجرح في الرأس، وقال له: «أتشتمة وأنا على دينه»، وقال ذلك وهو لم يسلم وقتها حتى يغيب أبا جهل، خاصة أنه كان يعلم أنه لا يغيب أبا جهل شيء أكثر من الإسلام^(٤).

حرفة الجزارة: اهتم بعض أهل مكة هذه الحرفة، واستفادوا من لحومها وألبانها ووبرها وجلودها، بالإضافة إلى استفادتهم من المنتجات والسلع والحرف والصناعات المستخلصة من الحيوانات ومن الذين اشتهروا بحرفة الجزارة، الزبير بن العوام، وعمر بن العاص، وعامر بن كرز، والوليد بن المغيرة^(٥)، الذين عرف أهلهم بالجزارة^(٦)، وتجدر الإشارة إلى أنه في حال تعذر أن يقوم الذابحون المذكورون سابقًا بعملهم، فيقوم مكانهم الأرقاء والموالي، فكانوا يذبحون لسادتهم.

وكان هناك أسواق كبيرة للحيوانات والبهايم منها أسواق خاصة لبيع المواشي^(٧)، و"سوق الإبل"^(٨)، و"سوق البقر"^(٩)، وعلى ما يبدو فلقد لعبت المواسم الدينية في مكة دورًا بارزًا في انتشار هذه الحرفة لكثرة ما يذبح من البهايم، مع أداء المناسك الدينية وخاصة في موسم الحج^(١٠).

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، (م. س)، (ج ١/ص ١٩٣).

(٢) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، (ج ٢/ص ١٨٨).

(٣) مسلم، الصحيح، حديث رقم (١٥٧٤).

(٤) ابن هشام، السيرة، (م. س)، (ج ١/ص ٢٩٢).

(٥) أحمد بن عمر بن رسته، (ت: ٣٠٠هـ)، الأعلام النفيسة، تح: خليل المنصور، (١٩٩٧م)، ط ١، دار الكتب العلمية: بيروت، لبنان، (ص ٢١٥).

(٦) (م. ن)، (ص ٢١٥)، وأنظر: ابن قتيبة، المعارف، (م. س)، (ج ١/ص ٥٧٥).

(٧) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، (م. س)، (ج ٣/ص ٢٨٤)، (ج ٤/ص ١٣٧)، انظر: الأزرق، أخبار مكة، (م. س)، (ج ٢/ص ٢٤٤).

(٨) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، (م. س)، (ج ٣/ص ٢٨٩).

(٩) (م. ن)، (ج ٤/ص ١٣٠-١٩١)، وأنظر: الأزرق، أخبار مكة، (م. س)، (ج ٢/ص ٢٦٦).

(١٠) عواطف أديب سلامة، قريش قبل الإسلام، (م. س)، (ص ١٧٤).

حرفة الدباغة: ارتبطت حرفة الدباغة بحرفة الجزارة، حيث يحصل الدباغون على الجلود من الجزارين، فقد كانت الجلود أو الأدم من أهم السلع التي يتاجر بها أهل مكة، مع مختلف البلدان كالشام والحبيشة، ويقول ابن هشام عن ذلك: "وكان أعجب ما يأتيه - أي إلى الحبيشة - منها الأدم"^(١)، وأكثر الأدم يكون مصدره مكة، نظرًا لكثرة ما يذبح بها في موسم الحج (يوم النحر)، الذي يساهم بشكل كبير في توفير الجلود، بالإضافة إلى ما تستورده مكة من الطائف واليمن^(٢).

حرفتي الخرازون والحذاؤون: أدت حرفة الدباغة إلى قيام صناعات أخرى مرتبطة بها، ومنها صناعة المشغولات الجلدية، وخاصة الحذائين، وكل من يشتغل بخرازة النعل والخف^(٣)، وربما شمل أيضًا معظم الصناعات الجلدية المختلفة كخرازة اللبود والقرب^(٤)، التي ينقل فيها الماء من مكان إلى آخر، والتي عرفتها مكة منذ فترة تاريخية مبكرة، كأوعية لحمل وحفظ الماء، كونها تميزت بالمرونة، واللينة وخفة الوزن، والقدرة على حفظ السوائل^(٥)، وكذلك صناعة الدلاء، وهو الوعاء الذي يستخرج به الماء من البئر بواسطة الحبال أو غيرها^(٦).

وكذلك ارتبطت حرفة الجزارة والدباغة بحرفة أخرى تعرف بصناعة أوتار الأقواس، رمي السهام، والتي لعبت دورًا بارزًا في حروب العرب القديمة^(٧).

حرفتي الحياكة (النسج) والخياطة: وهي من أهم هذه الصناعات التي عرفتها مكة^(٨)، حيث استغل أهل مكة صوف الضأن التي يمتلكونها فنسجوا منها ثياب الخز الموشاة بالحرير^(٩)، ولم تكن صناعة النسيج مقتصرة على الرجال فقط في مكة، بل اهتمتها النساء أيضًا، وإلى جانب الحياكة والنسج وجدت حرفة الخياطة، حيث كان

(١) ابن هشام، السيرة، (م. س)، (ج ١/ص ٣٣٤)، وانظر: الفاكهي، مكة في قديم الدهر، (م. س)، (ج ٣/ص ٣١٧ - ص ٣٣٢)، وانظر: الهمداني، صفة جزيرة العرب (م. س)، (ص ٢٣٣).

(٢) شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت/ ٦٢٦هـ)، (ط/ ٢)، ١٩٩٥م، دار صادر، بيروت - لبنان، (ج ٤/ص ٩).

(٣) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، (م. س)، (ج ١/ص ٢٨٤)، (ج ٤/ص ٢٢٦).

(٤) (م. ن)، (ج ٢/ص ٥٠ - ص ١٤٦).

(٥) جواد علي، المفصل، (م. س)، (ج ٧/ص ٥٨٨).

(٦) (م. ن)، (ج ٧/ص ٥٨٨).

(٧) درادكة، صالح موسي، بحوث في تاريخ العرب قبل الإسلام، (١٩٨٨م)، دار شيرين للنشر والتوزيع: عمان، الأردن، (ص ٢٢٨ - ص ٢٣٨).

(٨) جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، نقد العلم والعلماء، "الكتاب المعروف بتبلييس أبلّيس"، تح: محمد منير الدمشقي، (٢٠٠١م)، ط ١، دار الندوة الجديدة: بيروت، لبنان، (ج ٢/ص ٢٧٢)، وانظر: عبد المحي الكتاني، محمد عبّاد الحّي بن عبد الكبير ابن محمد الحسيني الإدريسي، (ت: ١٣٨٢هـ)، نظام الحكومة النبوية، تح: عبد الله الخالدي، ط ٢، دار الأرقم: بيروت، لبنان، (ج ٢/ص ٦).

(٩) والابريسم: أعجمي معرب وهو الحرير.

يقوم بما أهل مكة ومن الذين اشتهروا بهذه الحرفة في مكة قبيل البعثة، العوام بن خويلد، وقيس بن مخزومة وغيرهما^(١)، وكان عثمان بن طلحة عند دفع رسول الله مفتاح الكعبة خياطاً^(٢).

حرفة السقاية: وهؤلاء كانت حرفة من الحرف المهمة في مكة لتزويد المنازل بالماء لسد احتياجاتهم، وفي حالات أخرى كان بعض المكيين يحفرون آباراً في منازلهم أو قريباً منها لسد حاجتهم وحاجة أقربائهم أو جيرانهم^(٣)، وارتبط بهذه الحرفة حرفتي الحمارين والجمالين لجلب الماء من الآبار إلى البيوت، وقد اشتهر هذه الحرفة الرجال والنساء، فأما النساء فكان يحملن الماء في القرب والدلال لتوصيلها^(٤)، وكان عمل هؤلاء الرجال والنساء لكسب الرزق الحلال^(٥)، وقد يكون السقاة أحراراً من ذوي الحاجة أو عبيداً يبيعون الماء لصالح أسيادهم^(٦).

حرفة الخطابة: احترف بعض سكان مكة حرفة الخطابة حيث عمل بها الموالي والرقيق، مثل المولى نجدة مولى عمرو بن العاص، وكذلك عمل بها بعض الزوج المستقرين في مكة^(٧)، حيث عاش بعض الناس على بيع الخطب، فكانوا يجمعونه من البادية ومن الجبال ويأتون به إلى المدن والقرى مثل مكة ويشرب فيبيعونه، وكان هؤلاء يعرفون بالخطابة^(٨)، وقد نعت امرأة أبي لهب في القرآن الكريم بـ"حالة الخطب"؛ في قول الله ﷻ: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ [المسد: ٤]، وذلك على سبيل الازدراء.

حرفة النقل: اشتهر بعض أهل مكة ومواليها حرفة الجمالين والحمارين، وكانوا يكسبون رزقهم عن طريق نقل المسافرين، ونقل البضائع، وإكراء الدواب، واشتهر بهذه الحرفة من أهل مكة رجال من خزاعة^(٩).

حرفة الصرافة: لقد كان لحركة التجارة الداخلية ونشاطها في أسواق مكة، أثرها على ظهور حرفة الصرافة، حتي أصبح للصيارفة أسواق خاصة بهم^(١٠)، ولعل ظاهرة وجودهم في أسواق خاصة بهم، يعكس مدى حجم التجارة والعاملين فيها في مكة، فقد كانت لهم حوانيت في أجياد الصغير تنسب لآل خوان^(١١)، كما كان الصرافون يبيعون الذهب بالفضة أو العكس^(١٢)، وقد اكتسب أصحاب هذه الحرفة شهرة كبيرة بين أهل مكة فكان الناس يودعون

(١) ابن قتيبة، المعارف، (م. س)، (ص ٥٧٦-٥٧٧).

(٢) (م. ن) (ج ١/ص ٥٧٥).

(٣) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، (م. س)، (ج ٤/ص ١٠٠، ص ١١٣، ص ١١٤، ص ١١٦).

(٤) (م. ن)، (ج ١/ص ٣٣١، ٣٣٢).

(٥) ابن هشام، السيرة النبوية، (م. س)، (ج ٢/ص ٦١٦).

(٦) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، (م. س)، (ج ٣/ص ٧٥).

(٧) (م. ن)، (ج ٣/ص ٧٥).

(٨) جواد علي، المفصل، (م. س)، (ج ١٤/ص ٢٧٢).

(٩) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، (م. س)، (ج ٤/ص ١٥٣، ١٥٤).

(١٠) (م. ن)، (ج ٢/ص ١٨٠-٢٠٨)، (ج ٣/ص ٣٢٢، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٩)، (ج ٤/ص ٢٢٦).

(١١) الأزرق، أخبار مكة، (م. س)، (ج ٣/ص ٣١٦).

(١٢) الباطين، الحياة الاجتماعية، (ص ١٥٧).

أموالهم لديهم مقابل صكوك يحصلون عليها من الصراف، أو ضامن (كفيل) يقول ابن حبيب "إن صرافاً قام للناس (بتسعة آلاف) دينار فلزمه غرامؤه، فسألهم أن يفسره حتى يضطرب ويقتضى ديوانه، فقالوا: لا نرضى منك بكفيل دون أن يضمّنك عبيد الله بن العباس" فأتوا عبيد الله بن العباس فدفعوا له صكوكهم فقبضى عنه ماله^(١)، وهكذا عرف أهل مكة التعامل بالصكوك في العديد من معاملاتهم التجارية والمالية قبل البعثة، وللأسف لم تمدنا المصادر بأسماء الصرافين وجنسيتهم^(٢)، وأغلب الظن أنهم كانوا من اليهود والنصارى القاطنين في مكة، كما عرف أهل مكة حرفاً أخرى متنوعة حيث قامت تلك الصناعات في مكة على المواد الخام المتوفرة لديهم، أو المستوردة من المناطق المجاورة، مثل الطائف واليمن وغيرها^(٣)، وقد كان بعض أصحاب الحرف الإنتاجية يقومون ببيعها بأنفسهم، أو من خلال وسطاء يتجرون بها، حيث تكون حوانيتهم مجاورة لأصحاب الحرفة، أو في الأسواق العامة والموسمية التي كانت تشهدها مكة.

حرفة الرعي: شكلت الثروة الحيوانية عند أهل مكة قبل الإسلام ركناً حيوياً من أركان الحياة اليومية، وكان الرعي يمثل الحرفة الرئيسية ليس في مكة بل في شبه الجزيرة العربية وكانوا ينتقلون من مكان لآخر بحثاً عن مواطن الكلاء والماء^(٤)، وقد ورد في كتب السيرة والأحاديث أن النبي ﷺ كان يرعى الغنم وأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يرعى أبل أبيه بجوار مكة وامتازت الإبل عن غيرها من الحيوانات والمواشي في تكيفها على العيش في أماكن يندر الماء والعشب بها، فالجمل يتميز بصفات تلائم هذه الطبيعة الجغرافية أكثر من غيره من الحيوانات الماشية، أهمها الصبر على العطش لعدة أيام علاوة على قدرته على السير في المناطق الرملية، وقدرته الفائقة على نقل قدر كبير من الاحمال تعجز عن نقلها الدواب الأخرى^(٥).

الخاتمة:

ونستعرض فيها عدداً من النتائج والتوصيات

نتائج البحث:

- ١- كان للموقع الجغرافي لمكة المكرمة دور كبير في السيطرة على خطوط تجارة القوافل التي تمر بها قديماً، وخصوصاً بين اليمن جنوباً والشام شمالاً، كما ساعد ذلك الموقع في الاتصال بالعديد من بلدان العالم القديم.
- ٢- وجود علاقات تجارية لمكة مع الخارج بلغت مرحلة من التطور والتقدم.

(١) ابن حبيب، المحبر، (ص ١٤٦).

(٢) سيد عبد العزيز سالم، تاريخ شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، مؤسسة شباب الجامعة: الإسكندرية، مصر، (٢٠٠٢م)، (ص ٣٥٩-٣٦٥).

(٣) أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، (١٩٩٤م)، ط ١، دار الكتب العلمية: بيروت، لبنان، (ج ٤/ص ٢٨٦).

(٤) زيتون، محمد محمد زيتون، السراج المنير في سيرة سيد المرسلين، (١٩٩٤م)، القاهرة، مصر، (ص ١٣).

(٥) لطفى عبد الوهاب، تاريخ العرب في العصور القديمة، (١٩٧٩م)، ط ٢، دار المعرفة الجامعية: بيروت، لبنان، (ص ٢٩٠-٢٩١).

- ٣- وضح البحث أهمية التجارة كركن اقتصادي ومورد أساسي في مكة قبل الإسلام وشجع نجاح النشاط التجاري وتنوعه على قيام حركة التبادل التجاري.
- ٤- إن مكة المكرمة قبل الإسلام، كانت لها نشاطات تجارية وصناعية متنوعة.

توصيات البحث:

- ١- دراسة التاريخ الإسلامي من الناحية الاقتصادية بشكل أكثر عمقاً، والاستفادة من التجارب السابقة في الوقت الحاضر.
- ٢- البحث عن المواقع الاقتصادية لمكة مثل الأسواق ومسرات القوافل التجارية القديمة.
- ٣- إحياء الحرف التقليدية كجزء من التراث الخاص بمكة المكرمة.

المصادر والمراجع:

- أبو العباس أحمد بن إسحق اليعقوبي. (ت: ٢٩٢هـ). تاريخ اليعقوبي. (٢٠١٠م)، ط١، شركة الإعلام للمطبوعات: بيروت، لبنان.
- أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق الغساني. (ت: ٢٥٠هـ). أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار. تح: رشدي الصالح ملحق، دار الأندلس للنشر: بيروت، لبنان.
- أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري. (ت: ٢٧٩هـ). فتوح البلدان، (١٩٨٨م)، دار ومكتبة الهلال: بيروت، لبنان.
- أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي. (ت: ٣٤٦هـ). مروج الذهب ومعادن الجوهر. تح: كمال حسن مرعي، (٢٠٠٥م)، ط١، المكتبة العصرية: صيدا، لبنان.
- أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن داود الهمداني. (ت: ٣٣٤هـ). صفة جزيرة العرب. تح: محمد بن علي الأكوخ الحوالي، (١٩٩٠م)، ط١، مكتبة الإرشاد مكتبة: صنعاء، اليمن.
- أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافري. (ت: ٢١٨هـ). السيرة النبوية. تح: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ الشلي، (١٩٥٥م)، ط٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي: القاهرة، مصر.
- أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري. (ت: ٢٧٦هـ). المعارف. تح: ثروت عكاشة، (١٩٩٢م)، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب: القاهرة، مصر.
- أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن داود الهمداني. (ت: ٣٣٦هـ). كتاب الجوهرتين العتيقتين المائعتين من الصفراء والبيضاء الذهب والفضة. تح: يوسف محمد عبدالله، (٢٠٠٣م)، ط١، مكتبة الارشاد: صنعاء، اليمن.
- أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى. (ت: ٣٧٠هـ). تهذيب اللغة. تحقيق: محمد عوض مرعب، (٢٠٠١م)، ط١، دار إحياء التراث العربي: بيروت، لبنان.
- أبو مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان بن محمد بن حيان بن وهب. (ت: ٤٦٩هـ). المقتبس من أنباء أهل الأندلس. تح: محمود علي مكي (١٩٧٠م)، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية: القاهرة، مصر.

أبي عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس الفاكهي. (ت: ٢٧٥هـ). أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه. تح: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، (١٩٩٣م)، ط ٢، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة: مكة المكرمة، السعودية.

أحمد إبراهيم الشريف. مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ﷺ. (٢٠٠٣م)، دار الفكر العربي: القاهرة، مصر.

أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني. (ت: ٨٥٢هـ). الإصابة في تمييز الصحابة. تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، (١٩٩٤م)، ط ١، دار الكتب العلمية: بيروت، لبنان.

أحمد بن عمر بن رسته. (ت: ٣٠٠هـ). الأعلاق النفيسة. تح: خليل المنصور، (١٩٩٧م)، ط ١، دار الكتب العلمية: بيروت، لبنان.

إسماعيل بن حماد الجوهري. (ت: ٣٩٣هـ). الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. تح: أحمد بن عبد الغفور عطار، (١٩٧٩م)، ط ٢، دار العلم للملايين: بيروت، لبنان.

إلهام أحمد البابطين. الحياة الاجتماعية في مكة منذ ظهور الإسلام، حتى نهاية العصر الأموي. (١٩٩٨م)، الرياض، السعودية.

السيد محمود عبدالعزيز سالم. (ت: ١٤٣٠هـ). تاريخ العرب قبل الإسلام. (١٩٦٧م)، مؤسسة شباب الجامعة: الإسكندرية، مصر.

باتريشيا كرون. تجارة مكة وظهور الإسلام. (٢٠٠٥م)، ترجمة ودراسة: آمال الروبي، مراجعة وتقديم: محمد إبراهيم بكر، المجلس الأعلى للثقافة: القاهرة، مصر.

جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي. (ت: ٥٩٧هـ). نقد العلم والعلماء. "الكتاب المعروف بتبليس أبلّيس"، تح: محمد منير الدمشقي، (٢٠٠١م)، ط ١، دار الندوة الجديدة: بيروت، لبنان.

جرجي زيدان. العرب قبل الإسلام. تح: حسين مؤنس مطبعة دار الهلال: القاهرة، مصر.

جواد محمد علي العُقَيْلي. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام. (٢٠٠١م)، ط ٤، دار الساقبي: بيروت، لبنان.

دراذكة، صالح موسي. بحوث في تاريخ العرب قبل الإسلام. (١٩٨٨م)، دار شيرين للنشر والتوزيع: عمان، الأردن.

سيد عبدالعزيز سالم. تاريخ شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام. (٢٠٠٢م)، مؤسسة شباب الجامعة: الإسكندرية، مصر.

زيتون، محمد محمد زيتون. السراج المنير في سيرة سيد المرسلين. (١٩٩٤م)، القاهرة، مصر.

صالح أحمد العلي. محاضرات في تاريخ العرب. (١٩٦٧م)، ط ٤، مكتبة الإرشاد: بغداد، العراق.

ظاهر خير الله الشويري. الحرفة وتوابعها. مجلة المقتطف، ج ١، العدد (٢٩)، (١٩٠٤م)، القاهرة، مصر.

عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي. (ت: ٨٠٨هـ) المقدمة.

(مُسْتَأْلاً مِنْ كُتَابِهِ: العبر، وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر)، مراجعة: د. سهيل زكار، (١٩٨١م)، ط ١، دار الفكر: بيروت، لبنان.

عبد الحي الكتاني، محمد عَبْدُ الْحَيِّ بن عبد الكبير ابن محمد الحسني الإدريسي، "المعروف. (ت: ١٣٨٢هـ). نظام الحكومة النبوية. تح: عبد الله الخالدي، ط ٢، دار الأرقم: بيروت، لبنان.

- عبدالمنعم ماجد. التاريخ السياسي للدولة العربية (عصور الجاهلية والنبوة والخلفاء الراشدين). (١٩٨٢م)، ط٧، مكتبة الانجلو المصرية: القاهرة، مصر.
- عواطف أديب سلامة. قريش قبل الإسلام دورها السياسي والاقتصادي والديني. تح: عبدالرحمن الطيب الأنصاري، (١٩٩٤م)، دار المريخ: الرياض، السعودية.
- على إبراهيم حسن. التاريخ الإسلامي العام. (الجاهلية، الدولة العربية، الدولة العباسية)، ط٣، مكتبة النهضة المصرية: القاهرة، مصر.
- علي بن محمد بن أحمد بن موسى ابن مسعود الخزاعي. (ت: ٧٨٩هـ). تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية. تخ: إحسان عباس (١٩٩٨م)، ط٢، دار الغرب الإسلامي: بيروت، لبنان.
- فكتور سحاب. إيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف. (١٤١٢هـ/١٩٩٢م)، ط١، المركز الثقافي العربي: بيروت، لبنان.
- لطفی عبدالوهاب. تاريخ العرب في العصور القديمة. (١٩٧٩م)، ط٢، دار المعرفة الجامعية: بيروت، لبنان.
- محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري. (ت: ١٢٤هـ). المغازي النبوية. تحقيق سهيل زكار، (١٩٨١م)، ط١، دار الفكر: بيروت، لبنان.
- محمد بن مكرم بن علي، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي. (ت: ٧١١هـ). لسان العرب. (١٩٩٣م)، ط٣، دار صادر: بيروت، لبنان.
- محمد بن محمد بن عبدالرزاق الحيني، أبو الفيض الزبيدي. (ت: ١٢٠٥هـ). تاج العروس من جواهر القاموس. (٢٠٠١م)، ط٢، وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب: دولة الكويت.
- محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله الهاشمي البصري. (ت: ٢٣٠هـ). الطبقات الكبرى. تحقيق: إحسان عباس، (١٩٦٨م)، ط٢، و(القسم المتمم لتتابع أهل المدينة ومن بعدهم)، دراسة وتحقيق زياد محمد منصور، (١٩٨٣م)، ط١، المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية: المدينة النبوية، دار صادر، لبنان، بيروت.
- هشام بن محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن الحارث بن عبد الحارث ابن الكلبي. (ت: ٢٠٤هـ). مثالب العرب مع نصوص من مثالب الهيثم بن عدي. تح: جاسم ياسين الدرويش وسليمة كاظم حسين، (٢٠١٥م)، ط١، تموز للطباعة والنشر والتوزيع: دمشق، سوريا.
- واضح الصمد. الصناعات والحرف عند العرب في العصر الجاهلي. (١٤٠٢هـ/١٩٨١م)، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر: بيروت، لبنان.